جامعة "أبو بكر بلقايد" تلمسان – كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

تنبيه: تمّ استغلال الصور من الكتب المتخصصة ومن الشبكة العنكبوتية

قسم علم الآثار. مقياس ما قبل التاريخ: S 4

مسؤول المقياس: أ. د. سيدي محمد نقادي

عنوان الدرس: العصر الحجري القديم الأعلى Paléolithique Supérieur

(من **34.000- 10.000** ق.م.)

عرف إنسان هذه المرحلة تطوّرا ملحوظاً من حيث بنيته الجسدية ومن حيث سلوكه. لقد استطاع هذا الأخير بذكائه ومهاراته ومثابرته، صنع أدوات مكّنته من الانتقال من طور جني الثمار إلى طور الصياد برا وبحرا، محَسّنا بذلك ظروف معيشته ومؤكّدا بداية سيطرته على البيئة المحيطة به، لكن لم تكن له بعدُ القدرة على تغييرها. وسيحدث ذلك حين الاستقرار النهائي. كما ساعدته هذه الملكات الفكرية والمهارات من الاستعداد لاستقبال الاستقرار النسبي أوّلا ثم النهائي.

- تمثّل العصر الحجري القديم الأعلى في أوربا بعدّة حضارات من أهمها ووِفق الترتيب الزمني: الحضارة الأورنسانية **(Aurignacien) فيما بين 34.000 و28.000** ق.م. والسوليترية **(Solutréen)** فيما بين **22.000 و 17.000 ق. م.** والمجدلية **(Magdelien)** حوالي **10.000** ق.م.

مخبأ لامدلين **La Madeleine** بفرنسا الذي عثر فيه على عدد من الأدوات منها القواذف من الخشب...

...وهيكل عظمي له سيمات الإنسان العاقل (هيكل طفل زُين جمجمته بأحجار كريمة وأصداف).

كما شهدت مغارات عديدة بأوربا نقوش ورسومات لازالت تبهر وتحيّر المختصين.

- وتمثّل هذا العصر بإفريقيا الشمالية في حضارتين هما الحضارة الوهرانية الساحلية والحضارة القفصية الداخلية. تبدو الحضارات المغربية متأخرة نسبيا عن الحضارات الأوربية، إذ تظهر فقط ابتداء من النصف الثاني من الألفية الثامنة قبل الميلاد **(-7500)**ن أي مع بداية تأثر المنطقة بالجفاف. ويعود السبب الرئيسي إلى:
  - سادت الحضارة العاترية طويلا، إلى بداية فترة الجفاف التي أثرت في الغطاء النباتي الذي بدوره أثر على الثروة الحيوانية، فتحتّم من جديد على إنسان المنطقة التأقلم مع المحيط الجديد.
  - مجيئ سلالة بشرية جديدة: الإنسان العاقل **Proméditerranéen**، الذي خلف في المنطقة إنسان تيغنيف، وهو الذي أحدث حضارتين: الحضارة الوهرانية والحضارة القفصية.

1- <u>الحضارة الوهرانية</u> **(-7500)** المعروفة أيضا عند علماء الأثار بأوربا تحت اسم الحضارة الإيبيرو موريتانية **Ibéro- mauritanienne** زعما منهم أنّها من تأثير سكان شبه الجزيرة الإيبيرية، وذلك قصد رفض السبق للضفة الجنوبية مع رفضهم اسم الحضارة الوهرانية. هي حضارة سادت بالمناطق الساحلية. وفي واقع الأمر لم توجد أيّ علاقة بين الضفتين، ذلك ما أكّدته الدراسات الحديثة.

تواجدت عينات من هذه الحضارة بعدّة مناطق من الشريط الساحلين مع تواجد استثنائي بمنطقتي تيارت (كلمناطه1) وبوسعادة. نذكر على سبيل المثال بالقطر الجزائري محطة ما قبل التاريخ لوادي المُويلَح لولاية مغنية حاليا، ومحطتي الطمار وأفلو بورمل بولاية بجاية. وكذا مغارة غسل بجبل شنوا بالقرب من مدينة شرشال التاريخية. أمّا بالقطر التونسي نذكر محطتي أوشطاطه وقابس وبالمغرب الأقصى مغارة تافوغالت شمال مدينة وجدة. حضارة تواجدت بالمغاور والمخابئ

2- <u>الحضارة القفصية</u>: **Capsienne (-4400 (؟** نسبة إلى مدينة قفصة التونسية التي كانت تسمى في العهد العتيق قبصة **Capsa** ومنها أخذ الاسم اللاتيني. هي حضارة متأخرة عن الوهرانية وسادت بالمناطق الداخلية. تعدّ محطة عين ناقة ومحطة تيارت (كلمناطة2)من أهمّ المحطات المدروسة بالجزائر.
حضارة تواجدت بالعراء إذ عاش السكان حول مواقد جماعية، مثل ما كان حال بمحطة "أبو قرّة" شمال شرق مدينة الحناية من ولاية تلمسان.

❖ ننبه على هذا المستوى، أنّ التأريخ لهذه الحضارة مجحف جدا إذْ أنّه تمتلئ سفوح جبال الأطلس الصحراوي من جنوب تونس إلى موريتانيا بنقوش تعود على أقلّ تقدير إلى **10.000** ق.م. وعليه لا بد من إعادة النظر في الدراسات السابقة التي أجريت أثناء الفترة الاستعمارية والتي يشوبها الكثير من المواقف الإيديولوجية التي لا تخدم العلم.
❖ ألا يمكن إرجاع هذا الغموض في التأريخ إلى تزامن حضارتين (العاترية والقفصة) بالمناطق الداخلية؟ ذلك ما يظهر على مستوى محطة سيدي عدّيش بدائرة أولاد ميمون من ولاية تلمسان إذ تزامنت العاترية بالقفصية. (تتوفر المحطة على مغارات وبقربها رماديات)

شفرات من إنتاج الحضارة القفصية

الرماديات: تميّز إنسان الحضارة القفصة باستهلاكه الواسع للحلزون (بحثا عن البروتينات الحيوانية). الرماديات، عبارة عن أرضية تنتشر فيها قواقع الحلزون الذي تمّ استهلاكه. تقترب هذه المساحة بمنطقة سيدي عدّيش من الهكتار الواحد. وبداخل هذه المساحة تكثر المواقد. دلّت الحفريات بمنطقة أمجاز2 (ولاية العلمة) أنّها استعملت لدفن الموتى. (انظر الصورة الموالية)

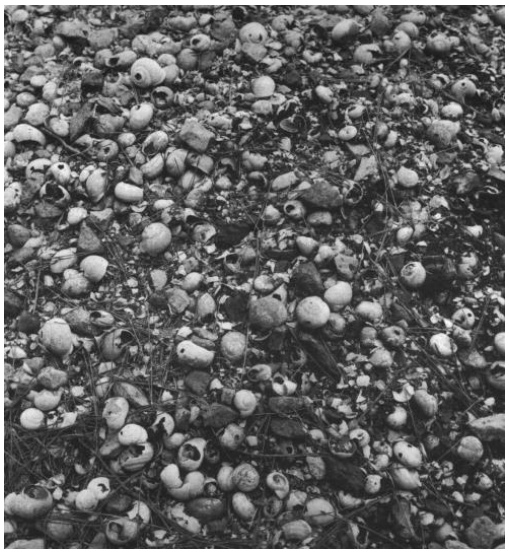

نموذج من رماديات **Escargotières**

للمزيد من المعلومات أنظر مقال **G. Camps** بالموسوعة البربرية
https://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/

هيكل عظمي بقاع رمدية محطة مجاز **2** بولاية العُلمة

نموذج آخر من طرق الدفن في الحضارة القفصية

مميزات التحوّل النوعي في حياة الإنسان العاقل في كلتا الحضارتين:

- من حيث الأدوات المنجزة: هناك تطوّر ملحوظ في طرق إنجاز الأدوات حجرية كانت أو عظمية أو عاجية. فمن التقنيات المتحكم فيها في هذه الفترة تهذيب حواف الأدوات عن طريق الضغط بأداة لولبية، لإزالة قطع مجهرية لرفع قدرات الأدوات في القطع. لقد تنوّعت الأدوات الحجرية في أحجامها ووظائفها؛ إذْ استطاع أن ينجز في الوقت نفسه:

- نصالا حجرية يتراوح طولها بين **20** و**30** سم. زادت في قدراته القتالية في حالة استعملها كناجر ، أو تزيد في قدراته الدفاعية ضدّ الحيوانات المفترسة إذا ثبتها على رأس حربة.

- حجارة قزمية (**Microlithes**) من الصغيرة جدا (استعمال بالأنامل فقط كالتي يغرزها في قطعة خشبية مثلا ليجعل منها منشارا) أو التي يتمكن من استخدامها بأصابعه (رؤوس السهام، قفيلات، مثاقب، إبر...)

- وما إنجاز رأس سهم إلاّ الدليل القاطع لابتكار إنسان هذا العصر للقوس الذي له أهمية كبرى في عملية الصيد. فالقوس سيوفّر للإنسان مجهودات عضلية ويحمي صاحبه من المواجهة الجسدية مع الحيوان (يعدّ القوس من وسائل الصيد عن بُعد).كما أنّ القوس جعل الصياد ينفر من الصيد الجماعي للحيوانات الضخمة، مقابل أن يختار هو نفسه الحيوان الذي يرغب في اصطياده ووفق حاجاته الآنية (طير، غزل، غنم...، كما زاد القوس في قدراته الدفاعية، إذ يمكنه من مكان آمن أن يقضي على الحيوانات المفترسة، دون أذى يذكر.

هذا ولضمان تنوع في غذائه تمكّن بملكاته من أن يصنع الحبال التي ساعدته على تشكيل الشراك والفخاخ لصيد الحيوانات الصغيرة (أرانب وطيور) والشباك لصيد الأسماك.

كما اهتدى الإنسان إلى صقل العظام فصنع منها الخناجر ولإبر كما اعتمد القلائد من الأحجار والصدفيات وبيض النعامة. هي فترة حاسمة في حياة إنسان ما قبل التاريخ، إذ بدأ يعي لقدراته في تكييف محيطه لحاجاته: لقد خرج من طور التكيف.

- من حيث الحياة اليومية: عاش إنسان الحضارة الوهرانية (الإيبيروموريتانية) بالمناطق الساحلية والتلية في مخابئ ومغارات (وهو دليل أنّه عرف فوائد النار). أمّا إنسان الحضارة القفصية، ونظرا لمحيطه الفقير من التجاويف الصخرية، فقد عاش في العراء في بيوت جماعية أو أكواخ، أنجزت بالمواد المتوفرة بمحيطه (حجارة في الجزء السفلي والعلوي بالمواد النباتية.

تشترك الحضارتان في تفضيلها الاستقرار النسبي: استقرار حول المغارة أو المخبئ، أو في بيوت حول الرماديات أو بالقرب من ورشة إنجاز الأدوات. ومن استنتاجات علماء الآثار من حيث الجانب الصحي في الاستقرار النسبي، قلّة الكسور وأمراض الظهر، وذلك بعد دراسة هياكل عظمية تعود لهذه الفترة.

إنّ ظاهرة الاستقرار النسبي، وتعقّد عملية إنتاج الأدوات وعملية تحضير الأطعمة، بعد تحكّمه في النار وعمليات الصيد الجماعي، تفرض علينا قبول فكرة توزيع المهام بين أفراد الجماعة وبالتالي توزيع المهام بين الفئات الجنسية والعمرية فهناك الصياد والصانع للأدوات الحجرية أو الحبال والشباك والفخاخ... علما بأنّ غريزة الأمومة، وصعوبة الحمل عند الإنسان، ثمّ تربية المولود ورعايته، هي التي أجبرت المرأة على المكوث في البيت، ولم يفرضها الرجل.

هذا وبالإضافة للصيد بقي هذا الإنسان يقتات أيضا من جني ثمار الموسم والبحث عن العساقيل مع استهلاك واسع للحلزون.

- من حيث المعتقدات السائدة: من خلال طرق الدفن تأكّد لدى الباحثين أنّ لإنسان العصر الحجري القديم الأعلى موقف من الحياة الأخروية، إذ دفن موتاه على شكل جنين (ليُبعث من جديد) مع تزويده بمأكولات، وأدوات وأسلحة، وطلاء القبر بالأحمر، تنبؤا بحياة جديد أفضل. ولحفظ القبر من النبش جعلت على القبر أحجار كبيرة. انتشرت ظاهرة وضع حجارة واحدة ضخمة على القبر **(Menhir)** أو على شكل مصطبة **(Dolmen)**

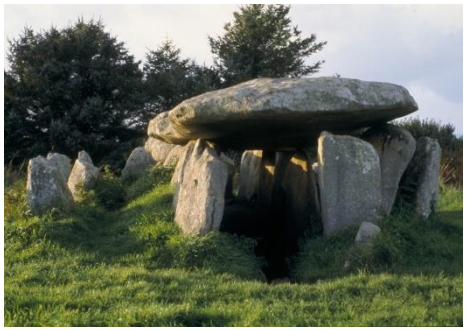

دولمن Dolmen

منهير Menhir

مقبرة جماعية بمنطقة كرنك بفرنسا **(Bretagne)**

https://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/2316
https://twitter.com/PrehistoricMojo/status/975616617135722496

عثر على نموذج وحيد من المنهير بكلمناطه (تيارت) أما الدلمان فلنا نماذج عدّة أهمها دلمان بسيدي موسى على مقربة من الجزائر العاصمة.

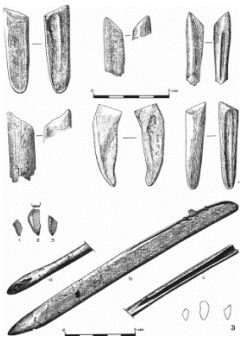

أدوات عظمية مصقولة من محطة كلومناطة (تيارت)

- من حيث الجانب الفنّي والجمالي: أنجز إنسان العصر الحجري القديم الأعلى بأوربا روائع، لا زالت ماثلة أمامنا، تثير الدهشة والتعجب، وفي الوقت نفسه تؤكّد أن منجزها من فصيلة الآدميين. لقد تمكّن هذا الإنسان من النحت والنقش والرسم مع التلوين. وإضافة إلى كونه صانعا لأدواته وأسلحته، وصيادا، فهو يبرهن على أنّه فنانا بارعا، إلاّ أنّ وظيفة فنّه هي بالضرورة، طقوسية وليست جمالية ولا يُقصد منها تزيين المحيط.

لقد أنجز منحوتاته ونقوشه فيما يخص الأعمال الفردية، على مواد مختلفة (جيرن حجار لينة، خشب، قرون وعظام الحيوانات وعاجها.)

نحت على قطعة من الجير، يرمز إلى المرأة التي يرغب فيها مجتمع ما قبل التاريخ: **الجمال في ضمان النسل ولا في الجسد**

- قوّة على مستوى الخصر + ولودة + ثدي يضمن غذاء الرضيع
- لا وجود لسيمات الوجه
- الشعر ممشوط

فينوس لودندورف **La vénus de Ludendorf**

عثر عليها بألمانيا وهي تعود إلى فترة **30.000** سنة ق.م.

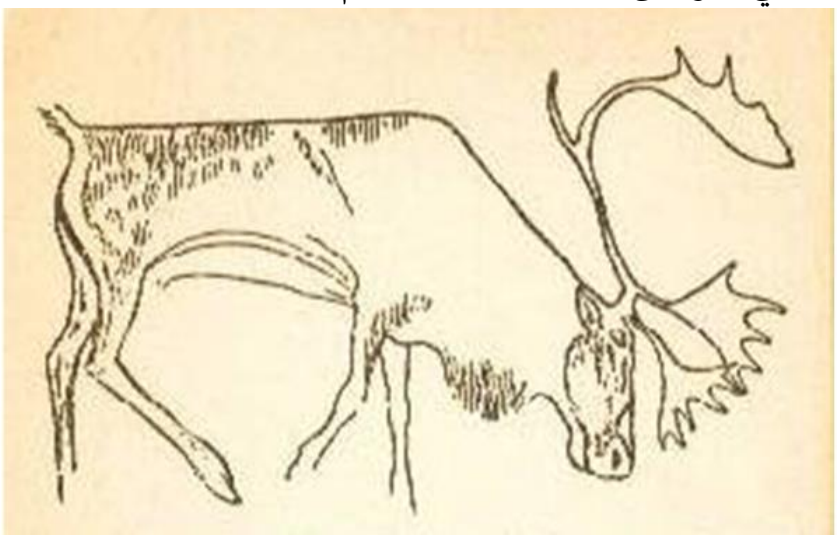

نقش على عظم وعل، لاحظ دقة رسم الأرجل المخفي في الحشيش وحركة الرأس

أمّا الإنجازات الجماعية فتمثّلت في جداريات ضخمة، سبق فيها تهيئة السطح مع حفر إطار الجدارية كما هو الحال في مغارة لاسكو **Lascaux** بفرنسا وألطميرا **Altamira** بإسبانيا.

هذا وتجدر الإشارة إلى أنّ جداريات جنوب غرب أوربا موجودة بمغارات صعبة الوصول إليها وذات عمق كبير ويسود بداخلها ظلام قاتم.

نموذج من ألتاميرا (إسبانيا)

نموذج مغارة لاسكو (فرنسا)

(سنعود لهذه الجداريات في درس لاحقا)